الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

أثر علم النحو في التفسير القرآني

التحرير و التنوير لمحمد الطاهر بن عاشور – أنموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

إعداد الطالبتين:
*- ميادة كرد علي
* - خولة كرد علي

إشراف الأستاذ:
عزوز سطوف

السنة الجامعية: **2019/2018**

بسم الله الرحمان الرحيم

" قَالُوا سُبْحَانكَ لا عِلْمَ لَنَا إلّا مَا عَلّمتَنَا

إنّكَ أَنتَ العَليمُ الحَكِيمُ "

سورة البقرة، الآية رقم 32

إهداء

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى من جرع كأسا فارغا ليسقيني قطرة حب، إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير والدي العزيز فريد.

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان، إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان حنانها بلسم جراحي، إلى القلب الناصع بالبياض، إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل، إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله أمي الغالية فطيمة.

إلى من بهما أكبر وعليهما أعتمد، إلى شمعتان متقدتان تنيران ظلمة حياتي، إلى من بوجودهما أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها، إلى من عرفت معهما معنى الحياة أختاي الجميلتان الطيبتان سارة وزينب.

إلى إخوتي ورفقاء دربي في هذه الحياة معكم أكون أنا ودونكم أكون مثل أي شيء، إلى من تطلعتم لنجاحي بنظرات الأمل، إلى القلوب الطاهرة والنفوس البريئة، إلى رياحين حياتي صلاح وأيوب، إلى الكتكوت الصغير وفرحتنا إلى من كان شغبه سعادة لنا مصعب الحبيب.

إلى الأخوات التي لم تلدهن أمي، إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء، إلى ينابيع الصدق الصافي، إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي. إلى ابنة عمي ومن أعتبرها أختي، إلى من كنت سندا لها وبهجتها في الحياة، إلى رفيقة دربي، إلى من شاركتني في إنجاز هذا العمل الجليل خولة.

ميادة.

إهداء

إلى النجم الساري في سما أفقي، إلى منبع الخير الدافق والحنان الوافر، إلى المربي الفاضل الذي نسج لي طريق النجاح في حياتي، إليك يا والدي الحبيب بدرالدين... وإلى من ملكت حواسي وإحساسي، واحتوت عقلي وأفكاري، وهامت بها نفسي وأنفاسي، إلى الحب الصادق، والمربية الفاضلة، والشمس الوضاءة، إليك يا أمي الحبيبة نادية... أشكركما شكرا لا حد له، فقد ربيتماني أحسن تربية، وأعنتماني على إكمال دراستي، واهتممتما بي في كل شؤوني، وأنرتما لي كل دروبي، فأسأل الله أن يبارك في حياتكما وأن يعينني على بركما.

إلى جدي وجدتي العزيزين رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته.

إلى اللتان تعتبران جزءا من الروح، وقطعتين من القلب، إلى البسمة والنبض، إلى اللتان مكانهما بين الشغاف والحنايا، إلى الحب المملوء بالشغب الجميل، إليكما أختاي الحبيبتان أمال وآية.

إلى إخوتي الأحبة: أسامة، يعقوب، والكتكوت الصغير بهجة الدار وفرحتها، إلى الجميل بسمة القلب يوسف.

إلى من شاركتني في إنجاز هذا العمل المبارك، إلى من قاسمتني التعب والهم، إلى من كنت لها سندا وفرحا، إلى ابنة عمي ورفيقة دربي ميادة.

إلى صديقاتي العزيزات، أخواتي اللاتي لم تلدهن أمي.

وإلى كل من مد إلي يد العون من قريب أو بعيد.

خولة.

شكر وعرفان

بفيض من التقدير نتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ المشرف الدكتور **"عزوز سطوف"** على ما بذل من جهد وتحمل من مشقة، جعلها الله في موازين حسناته ونحن العارفات بفضله، المستضيئات بقدره، وقد حررنا هذه السطور بلسان الإمكان لا بقلم التبيان، سائلين المولى عز وجل أن يجعلنا وإياه من أهل القرآن وأن يرزقنا وإياه الفردوس الأعلى من الجنان.

مقدمة

مقدمة:

إنّ من أجّل النعم التي أنعم الله بها علينا، نعمة القرآن الكريم نورًا وهدى للناس كما قال تعالى: «يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا» [النساء، 174]، وأخبر سبحانه أنّ هذا الكتاب مبارك، وإنما أنزله ليتدبّره العباد ولينتفعوا بما فيه من الآيات والبينات، قال تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكرّ أولوا الألباب» [ص، 29].

وقد اجتهد العلماء الأعلام قديما وحديثا في تدبر كتاب الله تعالى، والغوص في بحور معانيه، فاستخرجوا منه دررًا، واستنبطوا من آياته أحكاما، واستفادوا من مواعظه دروسا وعبرا، فوجدوا علاقة وثيقة بين علم التفسير وعلم النحو، ومن الشائع أن الدراسات النحوية إنما نشأت خدمة للقرآن الكريم وصونا له وتيسيرا للغته وتوضيحا لمعانيه ونشرها في صفوف المسلمين على اختلاف قدراتهم وتنوع لهجاتهم، هذه العلاقة مرت بأطوار مختلفة حددت سيماتها وعمقها وأهميتها في تاريخ التفسير.

لقد عد علم النحو ركنا من أركان التفسير بل ركنا جوهريا لا يقل عن شرط موافقة القراءة القرآنية بوجه من وجوه العربية، فإذا كان فيما مضى شكل التفسير فهو الآن عنصر ضابط يسهل في جلاء معالم القرآن اللغوية والأسلوبية والشرعية والمذهبية.

لقد كانت البدايات الأولى للتفسير من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ثم تولّاه صحابته من بعده وكانت هذه المحاولات قاعدة صلبة استقى منها العلماء والباحثون ولعل أبرز تلك المحاولات ما نجده لدى محمد الطاهر ابن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير إذ فسر القرآن من جوانب علوم اللغة خاصة علم النحو.

وتتمحور دراستنا في إشكالية أساسية مفادها فيما تجلى علم النحو؟ وكيف استعان محمد الطاهر ابن عاشور بعلوم اللغة في تفسيره؟ وتتخللها بعض التساؤلات الثانوية: ما الغاية من وضع النحو؟ فيم تكمن أهمية النحو في علم التفسير؟ فيم يكمن علم التفسير وما هي مراحل نشأته؟ وما هي مصادره؟ أمّا عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فكانت لاعتبارات ذاتية وموضوعية ولعل أهمها هو الرغبة في الكشف عن موضوع لطالما التبست علينا بعض مسائله وقضاياه

في مراحل سابقة خاصة بعد دراسة علوم اللغة وما تشتمله من أصول النحو، وكيف ساعد هذا الأخير في صياغة اللغة العربية.

ومن أبرز الأسباب أيضا حبنا للموضوع كما أننا لمسنا حاجة الطلاب والمثقفين إليها مثل ضبط الشكل ورغبتنا في اكتشاف بعض خفايا اللغة، ولا ننسى أيضا حبنا للاطلاع والمعرفة. وأن هذه الدراسة ليست الأولى في عهدها، فقد سبقنا إليها دراسات سابقة اتخذناها قاعدة لبناء بحثنا هذا.

وإذا كان لكل من يتصدى للبحث غاية يسعى إلى تحقيقها، فقد كان هدفنا هو الخروج بنظرة شاملة حول أثر النحو في علم التفسير، واتخذنا من كتاب تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور أنموذجا توصلنا من خلال دراسته إلى نتائج تأكدنا من خلالها أن للنحو أهمية كبيرة في تفسير كتاب الله.

ولقد اعتمدنا في الدراسة التي نحن بصددها المنهج الوصفي التحليلي إذ أنّ المنهج الوصفي يتم به وصف النحو، أما المنهج التحليلي فيتجلى في دراسة وتحليل واستخراج علوم اللغة. وقد اعتمدنا في إنجاز بحثنا هذا على عدة مصادر ومراجع أبرزها: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، علم التفسير لمحمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، ومناهل العرفان للزرقاني، وكذلك التبيان في إعراب القرآن للعكبري عبد الله بن الحسين. وبما أنه ينبغي أن يكون لكل بحث مساحة يدور في فلكها وأن تكون هذه المساحة محددة من خلال خطة نوطرها إلى ثلاثة فصول بعد الفراغ من المقدمة، حيث تناولنا في الفصل الأول الفرق بين التفسير والتأويل، نشأة علم التفسير، مصادر التفسير وكذلك طرق التفسير، أما في الفصل الثاني فتحدثنا فيه عن مفهوم علم النحو، نشأة علم النحو، كتب المعاني والإعراب وعلاقتها التفسير، وختمناه بأهمية النحو في علم التفسير. وهذان الفصلان تناولناهما من الجانب النظري، أما الفصل الثالث فكان عبارة عن تطبيق على كتاب تفسير التحرير والتنوير لما تمّ توضيحه سابقا، وتكون خاتمة البحث جملة من النتائج التي توصلنا إليها.

وككل بحث لا يخلوا هذا البحث من صعوبات أثناء إنجازه، ولعلّ أهمها ضيق الوقت وتزامن إنجازنا لهذا البحث مع الامتحانات، ضف إلى ذلك الاختلاف والتباين في المصطلحات من باحث لآخر وعدم الاتفاق على رؤية واحدة بالإضافة إلى الإحاطة الدقيقة بموضوع البحث

والجوانب التي تخدمه دون أن ننسى الضغوطات النفسية التي كثيرا ما تعترض سبيل الباحث فتكاد أن تشل وتعكر عزيمته في طريق طلب العلم والبحث الأكاديمي، ولكن سرعان ما تنضب النزعة العلمية في روحه فتضرب هذه العوائق عرض الحائط ويواصل الاجتهاد بعزيمة أقوى.

وفي الختام نشكر الله تعالى ونثني عليه الخير كله على ما من علينا ويسر وأعان علينا إتمام هذا الجهد، وسلك بنا سبيل العلم.

فإن أصبنا فمن عند الله وإن اخطأنا فمن أنفسنا.

الفصل الأول :علم التفسير

المبحث الأول: بين التفسير والتأويل

1-مفهوم التفسير:

أ-لغة: تدور معاني التفسير حول الكشف و الايضاح ، والبيان للشيء ،قال ابن فارس": فسر" ،الفاء و السين و الراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه"[1] و قال ابن منظور: "فسّر: الفسْر: البيان، فسَّر الشيء يفسِرُه بالكسر وتفسُرُه بالضم فسْرا وفسَّر أبانه...وقوله عز و جل «ولا يأتونك بِمَثَل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيرا »[الفرقان،33].

الفسْر: كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المُشْكِل، واستفسره كذا أي سألته أن يفسره لي".[2]

فالتفسير إذن يدور في عمومه حول معنيين هما توضيح الشيء وشرحه، جاء في المعجم الوسيط: "فسر الشيء فسْرا وضحه، والطبيب نظر إلى بول المريض ليستدل به على مرضه، وفسر الشيء وضحه وآيات القرآن الكريم شرحها ووضح ما تنطوي عليه من معان وأسرار وأحكام".

ب-اصطلاحا: أما اصطلاحا فهو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه.

وقال أبو حيان: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن و مدلولاتها و أحكامها الافرادية و التركيبية و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك].[3]

2-مفهوم التأويل:

أ-لغة: التأويل في اللغة مصدر الفعل أول، يؤول تأويلا، وذلك بتعدية آل، يؤول، وأوْلا وإيَالا، ومعنى آل: رجع وصار، ومنه المآل وهو المرجع، فتكون أوَّل بمعنى أرجع، الهمزة و الواو و اللام أصلان: ابتداء الأمر و انتهاؤه...و من هذا الباب : تأويل الكلام و هو عاقبته، و ما

---

[1] مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت، لبنان، د ط ،1399هـ،1979م، مادة (ف س ر)، ج4، ص504

[2] لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج11، ص114

[3] بحوث في أصول التفسير، فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط4، 1419ه، ص08

يؤول إليه[1]، وذلك قوله تعالى «هل ينظرون إلا تأويله»[الأعراف،53]،جاء في المعجم الوسيط: أول الشيء إليه أرجعه، يقال في الدعاء لمن فقد شيئا أول الله عليك ضالتك و في الدعاء عليه لا أول الله عليك شملك، و الكلام فسره و فسره و رده إلى الغاية المرجوة منه، و الرؤيا عبرها.

ب-اصطلاحا: تفسير الكلام و بيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل و التفسير على هذا مترادفين، وهذا ما عناه مجاهد من قوله: "إن العلماء يعلمون تأويله "يعني القرآن، وما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره: "القول في تأويل قوله تعالى كذا و كذا"، و بقوله: "اختلف أهل التأويل في هذه الآية"...و نحو ذلك فإن مراده التفسير[2].

3-الفرق بين التفسير والتأويل:

جرت عادة المفسرين بالخوض في بيان معنى التأويل، وهل هو مساو للتفسير أو أخص منه أو مباين، وجماع القول في ذلك أن من العلماء من جعلهما متساويين، وإلى ذلك ذهب ثعلب وابن الأعرابي وأبو عبيدة، وهو ظاهر كلام الراغب، ومنهم من جعل التفسير للمعنى الظاهر والتأويل للمتشابه، ومنهم من قال: التأويل صرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر محتمل لليل فيكون هنا بالمعنى الأصولي، فإذا فسر قوله تعالى: "يخرج الحي من الميت" بإخراج الطير من البيضة فهو التفسير، أو بإخراج المسلم من الكافر فهو التأويل، وهناك أقوال أخرى لا عبرة لها، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها إلا أن التأويل مصدره أوله إذا أرجعه إلى الغاية المقصودة، والثانية المقصودة من اللفظ هو معناه وما أراد منه المتكلم به من المعاني، فساوى التفسير، على أنه لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول، قال الأعشى:

عَلَى أنها كانت تَأَوَّل حُبَّها تَأَوَّلُ رِبْعِيِّ السقاب فأحبا

أي يبين تفسيره حبها أنه كان صغيرا في قلبه، فلم يزل يشب حتى صار كبيرا كهذا السقب أي ولد الناقة الذي هو من السقاب الربيعية لم يزل يشب حتى كبر فصار له ولد يصحبه قاله أبو

[1] التأويل والتفسير والفرق بينهما، هجران جاسب عيدان، إلهام عقيل، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القادسية، العراق، 1439ه، 2018م، ص7.

[2] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهيبة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ج1، ص15.

عبيدة، وقد قال الله تعالى: "هل ينظرون إلا تأويله" [الأعراف،53] أي ينتظرون إلا بيانه الذي هو المراد منه، وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، أي فهم معاني القرآن.[1]

4-حكم علم التفسير والغرض منه:

وتعلم التفسير واجب لقوله تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»[ص،29] بين الله تعالى في هذه الآية الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك أن يتدبر الناس آياته ويتعظوا بما فيها، والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن ذلك فانت الحكمة من إنزال القرآن وصار مجرد ألفاظ لا تأثير لها، ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه، ووبخ الذين لا يتدبرون القرآن وجعل ذلك من الأقفال على قلوبهم وعدم وصول الخير إليها يقول تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»[محمد،24].[2] وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة، يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه، لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به، فإن العمل بما لا يعرف معناه غير ممكن، وقال أبو عبد الرحمان السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا، ويجب على أهل العلم أن يبينوه للناس عن طريق الكتاب أو المشافهة، والغرض من تعلم التفسير هو الوصول إلى الغايات الحميدة والثمرات الجليلة وهي التصديق بأخباره والانتفاع بها وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله ليعبد الله بها على بصيرة.[3]

المبحث الثاني: مصادر التفسير

بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم لا مصدر له إلا الله عز وجل، لأنه: إما أن يأخذ عن الله مباشرة، وإما أن يأخذ عن القرآن الكريم نفسه، وإما أن يجتهد رأيه، وهو في كل ذلك أخذ عن

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984م، ج1، ص 16.
[2] أصول في التفسير، محمد صالح العثيمين، تح قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية: المكتبة الإسلامية، القصيم، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422ه، 2011م، ص23.
[3] أصول في التفسير، محمد صالح العثيمين، ص24.

الله سبحانه: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»[النجم/3,4]، أما بالنسبة للصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم- فمصادر التفسير أربعة:

1-القرآن الكريم: وذلك أن القرآن يشمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص، وما أوجز في مكان قد يذكر مفصلا في مكان آخر، وما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر...من أجل هذا كان لابد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولا، فيجمع ما تكرر في موضع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبا على ما جاء موجزا، وبما جاء مبينا على فهم ما جاء مجملا، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن الكريم، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذا مصدر لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنه ويتعداه إلى غيره من المصادر، من أمثلة تفسير القرآن بالقرآن: قوله تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات...»[البقرة،37] فسر(الكلمات) قوله تعالى في آية أخرى: «قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»[الأعراف،23]،[1]

2-النبي صلى الله عليه وسلم: وذلك بالرجوع إليه في حياته، والرجوع إلى سنته بعد وفاته، ذلك لأن وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم البيان كما أخبر الله عنه بذلك في كتابه العزيز يقول: «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون»[النحل،44]، ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة: ما أخرجه الترمذي عن علي قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن (يوم الحج الأكبر)، فقال: "يوم النحر"، غير أن الوضاع قد أدخلوا على هذا النوع من التفسير الكثير من الأكاذيب والأباطيل ولكن علماء الحديث ونقاده قد نبهوا إلى زيف هذه الروايات وفسادها.

3-الإجتهاد وقوة الاستنباط: وذلك إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى، ولم يتيسر لهم أخذه عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة أو بالوساطة، فحينئذ يكون الاجتهاد واجبا على من تتوافر فيه شروط الاجتهاد، وهذا إنما يكون فيما يحتاج إلى نظر واجتهاد، أما ما يمكن فهمه

[1] علم التفسير، محمد حسين الذهبي، دار المعارف-1119-كورنيش النيل، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص19.

بمجرد معرفة اللغة فكانوا لا يحتاجون في فهمه إلى إعمال النظر، وأدوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة هي:

1-معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها، لأنها تعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غي لغة العرب.

2-معرفة عادات العرب، التي تعين على فهم الكثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم.

3-معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن، لأنها تعين على فهم الآيات التي فيها الإشارة إلى أعمالهم والرد عليهم.

4-معرفة أسباب النزول وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وذلك لأنها تعين على فهم كثير من الآيات القرآنية، ولهذا قال الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها".

5-قوة الفهم وسعة الإدراك وهذا فضل الله يعطيه من يشاء، وذلك لأن كثيرا من آيات القرآن يدق معناه، ويخفى المراد منه ولا يظهر إلا لمن أوتي حظا من الفهم ونور البصيرة، ولقد أوتي ابن عباس حظا وافرا ن ذلك، وهذا ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم.[1]

4-أهل الكتاب من اليهود والنصارى: وذلك أن القرآن الكريم يتفق مع التوراة في بعض المسائل، وبالأخص في قصص الأنبياء، وما يتعلق بالأمم الغابرة. وكذلك يشتمل القرآن على موضوعات وردت في الإنجيل كقصة ميلاد عيسى عليه السلام ومعجزاته، غير أن القرآن الكريم اتخذ منهجا مخالفا لمنهج التوراة والإنجيل، فلم يتعرض لتفاصيل جزيئات المسائل، بل اقتصر على مواضع العبرة فقط، ولما كانت العقول تميل دائما إلى الاستيفاء والاستقصاء جعل بعض الصحابة رضي الله عنهم يرجعون في استيفاء القصص التي لم يتعرض لها القرآن الكريم من جميع نواحيها إلى من دخل في الإسلام من أهل الكتاب: كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وغيرهما من علماء اليهود والنصارى، وهذا بالضرورة كان بالنسبة لمن ليس عندهم فيه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أن رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب لم يكن

[1] علم التفسير، محمد حسين الذهبي، ص23.

له من الأهمية في التفسير ما للمصادر الثلاثة السابقة، وإنما كان مصدرا محدودا، وذلك لأن التوراة والإنجيل وقع فيهما كثير من التحريف و التبديل.[1]

بينما لم تختلف مصادر التفسير في عصر التابعين عنها في عصر الصحابة إلا بفارق بسيط، وتتمثل مصادر التفسير في هذا العصر في المصدرين الأولين في عصر الصحابة: القرآن الكريم، وما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى ما روي عن الصحابة من

تفسيرهم هم لأنهم عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم، وعاصروا نزول القرآن، وعرفوا أسباب نزوله، كذلك ما نقل عن أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وأخيرا: ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد و النظر في كتاب الله.[2]

-أشهر ما دون من كتب التفسير:

1-جامع البيان في تفسير القرآن : لابن جرير الطبري

2- بحر العلوم : لأبي الليث السمرقندي

3-الكشف والبيان عن تفسير القرآن : لأبي إسحاق الثعلبي

4-معالم التنزيل : لأبي محمد الحسين البغوي

5-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية الأندلسي

6-تفسير القرآن الكريم : لابي الفداء الحافظ ابن كثير

7-الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم : لعبد الرحمان الثعالبي

8-الدر المنثور في التفسير المأثور : لجلال الدين السيوطي

9-مفاتيح الغيب : للفخر الرازي

10-أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للبيضاوي.

11-مدارك التنزيل حقائق التأويل : للنسفي

[1] علم التفسير، محمد حسين الذهبي، ص24.
[2] علم التفسير، محمد حسين الذهبي، ص24.

12-لباب التأويل في معاني التنزيل : للخازن

13-البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي

14-غرائب القرآن ورغائب الفرقان : للنيسابوري

15-السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: للخطيب الشربيني.[1]

المبحث الثالث: علم التفسير ومراحله

إن القرآن الكريم منذ اللحظات الأولى لنزوله على النبي عليه الصلاة والسلام، أثار حركة فكرية علمية ثقافية عند العرب، حيث دعاهم إلى الالتفات إلى ما جاءهم من جديد في أساليب التعبير والبيان، بما لم يعهدوه من قبل، فتعلقت قلوبهم وأسماءهم بروعة بيانه وبليغ نظمه[2]، فاعتنوا بتفسيره والكشف عن معانيه وأسراره. واستمرت هذه العناية إلى يومنا هذا، وستبقى مستمرة مادام القرآن الكريم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد نشأ التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد بدأ التفسير في صورة ضيقة، لأن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين، حيث يظهر هذا في قوله تعالى: «إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون»[يوسف،2]، وكان القوم عربا خلصا يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي، غي أن ألفاظه وأساليبه اللغوية ومعانيه علت على سائر كلام العرب، فكانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه، وكان بعضهم يفسر للآخر ما أشكل عليه فهمه وإذا عجز عليهم لفظ ولم يجدوا من يفسره لهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم اتسعت دائرة التفسير شيئا فشيئا كلما زاد الغموض عن الناس، وبهذا نشأ علم التفسير ثم مر بمراحل أبرزها:

المرحلة الأولى: التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن، حيث يقول في كتابه العزيز: «إنا نحن نَزَّلنا الذّكر وإنا له لحافظون»[الحجر، 9]، كما تكّفل النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع القرآن في

[1] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ص147.

صدره، فقال تعالى:«لا تحرّك به لسانك لتعجَل به (16) إنَّ علينا جمعه وقرأنه»[القيامة، 16-17]، ثمّ كلّف الله نبيَّه محمدًا عليه الصلاة والسلام أن يبيّن لهم القرآن ويفسره لهم، قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم[1]: «وأنزلنا إليك الذِّكر لنُبيِّنَ للنَّاس ما نُزِّل إليهم ولعلهّم يتفكرون»[النّحل، 44]، ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يتبادرون إلى سؤال الرسول عليه الصلاة والسلام في الألفاظ والآيات التي تعسَّر عليهم فهمها ووجدوا لبسًا فيها فيجدون الجواب شافيا كافيا، وقد اختلف العلماء في مقدار ما فسّره الرّسول صلى الله عليه وسلم من القرآن إلى قولين:

الأول: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، وهذا قول ابن تيمية، حيث قال[2]: "يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: «ليتُبيِّن للنّاس ما نزل إليهم»[النحل، 44]، يتناول هذا وهذا".[3]

الثاني: قالت طائفة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبّين لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات، ومن أدلتهم: قالوا أنّ الله لم يأمر نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالنص على المراد في الآيات كلها لأجل أن يتفكروا عبارة في كتابه والعلم المراد فيما لم يُنص على معناه يستنبط بأمارات ودلائل.[4]

وقد كان الصحابة متفاوتون في القرآن الكريم، فكانوا يلتفون بالمعنى الإجمالي للآية، وممّا يشهد لهذا ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عن أنس رضي الله عنه، أنَّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر، وفاكهة نفسه فقال: "إنَّ هذا لهُوَّ التكلف يا عمر".[5]

أمّا مصادر التفسير في هذه المرحلة فتمثلت في: القرآن الكريم، النبي صلى الله عليه وسلم، الاجتهاد وقوة الاستنباط، أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

أمّا أشهر المفسرين من الصحابة فنذكر: عبد الله بن عبّاس، عبد الله بن مسعود.

---

[1] بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرّومي، ص15.
[2] بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرّومي، ص15.
[3] مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تح عدنان زرزور، د ط، د ت، ص35.
[4] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، د ط، د ت، ج2، ص174.
[5] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص113.

المرحلة الثانية: التفسير في عصر التابعين

يشترك التابعون رحمهم الله مع الصحابة رضي الله عنهم في أهم أسس التفسير إلا أنّهم نظرا لتلقيهم التفسير عن الصحابة واتساع الفتوحات الإسلامية جدّت أسس أخرى[1]، فمنهجهم يقوم على:

-تفسير القرآن بالقرآن.

-تفسير القرآن بالسنة النّبوية.

-تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

-الفهم والاجتهاد.

-أقوال أهل الكتاب من اليهود والنّصارى.

وكانت مرويات التفسير تروى على أنّها أبواب من الحديث، ولم يظهر تفسير كامل استوعب القرآن من فاتحته إلى خاتمته إلا في أواخر القرن الثالث والقرن الرابع على يد شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، ثم توالى التصنيف في التفسير والتفنن في مذاهبه.[2]

ومن بين المفسرين: سعيد بن المسيب، أبو إسحاق السبيعي...وغيرهم.

وخلال هذه الفترة ظهرت أشهر المدارس ومنها: مدرسة التفسير بمكة وأشهر رجالها ابن عباس، مدرسة التفسير بالمدينة وأشهر رجالها علي أبي بن كعب، ومدرسة التفسير بالعراق وأشهر رجالها علي ابن مسعود.

ومن مميزات التفسير في هذه المرحلة أنّه: دخل في التفسير الكثير من الإسرائيليات والنّصرانيات، وقد تسّاهل بعض المفسّرين من التابعين، فرجّوا بها في التفسير برغم بطلانها.[3]

المرحلة الثالثة: التفسير في عصر التدوين

[1] بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، ص31.
[2] التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع حسين، دار القمّة، دار الإيمان، اسكندرية، مصر، د ط، د ت، ص16.
[3] علم التفسير، محمد حسين الذهبي، ص33.

وقد مرّ التفسير في هذه المرحلة بعدة مراحل، وقد بدأت هذه المرحلة من مبدأ ظهور التدوين وذلك في أواخر عهد بني أمية، وأول عهد العباسيين، ونوجز خطوات التفسير لهذه المرحلة فيما يلي:

-**الخطوة الأولى:** كانت عبارة عن رواية التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة التابعين وبالتالي فالتفسير كان يتناقل بطريق الرواية.

-**الخطوة الثانية:** في هذه المرحلة خطا التفسير خطوة ثانية، حيث بدأ التدوين لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سوره سورة، وآية آية من مبدئه إلى منتهاه، بل وجد من العلماء من طوَّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما روى الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى أصحابه أو التابعين ومن هؤلاء: يزيد بن هارون السلمى.

-**الخطوة الثالثة:** في هذه المرحلة انفصل التفسير عن الحديث وصار علما مستقلا بذاته، وفُسِّر القرآن كاملا بكل آياته على حسب ترتيب المصحف، وهذا تمَّ على يد طائفة من العلماء مثل: ابن ماجة وغيره، وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى الرسول والصحابة والتابعين.

-**الخطوة الرابعة:** لم يتجاوز فيها حدود التفسير بالمأثور وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد، فصنف في التفسير خُلق كثير: حصروا الأسانيد، تقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن ينسبوها لقائلها فاختلط الصحيح بالعليل.[1]

-**الخطوة الخامسة:** هي أوسع الخطا، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقتصرا على رواية ما نقل عن السلف هذه الأمة، تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي.[2]

طرق التفسير:

[1] علم التفسير، محمد حسين الذهبي، ص36.
[2] التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ص108.

يقسم العلماء التفسير إلى قسمين: تفسير يرجع إلى النقل، ويعتمد على المأثور من القرآن والسنة وأقوال الصحابة، وتفسير يرجع إلى الاجتهاد والرأي، على وفق أصول دونها علماء التفسير، وضوابط يجب ان يعتمد عليها كل من رام تفسير الله[1]، ويحسن هنا أن نتكلم على النوعين بإيجاز:

1-التفسير المأثور: يقصد بالتفسير المأثور: هو ما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم من كل ما هو بيان وتوضيح ذلك، وإن كانوا اختلفوا فيما نُقل عنهم هل هو من التفسير أم لا.

وعلى هذا فإنهم يعرّفون التفسير بالمأثور بأنَّه: التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى ن غير دليل، ويتوقف عمّا لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح.[2]

وللتفسير بالمأثور مصادر تتمثل في: القرآن، السنّة النبوية، تفسير الصحابة رضي الله عنهم، تفسير التابعين رحمهم الله تعالى

كما أن للتفسير بالمأثور نوعين:

أحدهما: ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله.

ثانيهما: ما لم يصح لسبب من الأسباب السابقة وهذا يجب ردّه ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به إلا لتمحيصه أو التنبيه إلى ضلاله حتّى لا يغتّر به أحد.[3]

2-التفسير بالرأي: والمراد بالرأي: الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد.[4]

[1] أبو السعود ومنهجه في النّحو من خلال تفسير، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم أنموذجا، عماد أحمد سليمان، أشراف الدكتور ياسين عايش خليل، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، 2006م، ص10.

[2] بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الحمان بن سليمان الرومي، ص71.

[3] مناهل العرفان، الزرقاوي، د ط، د ت، ج1، ص493.

[4] التفسير والمفسرون، محمّد حسين الذهبي، ص255.

وقد يبدل المفسر قصارى جهده وتتوافر فيه شروط المفسر فيحمد تفسيره، وقد يتفانى فيه ويكون صاحب هوى ولا تتوافر فيه شروط المفسّر فيذم تفسيره، وعلى إثر هذا يظهر لنا أنّ التفسير بالرأي ينقسم إلى قسمين:

-الأول: التفسير بالرأي المحمود.

-الثاني: التفسير بالرأي المذموم.

وعلى هذا الأخير يُحمل النّهي عن تفسير القرآن بالرأي، فقد حمّل العلماء حديث من تكلّم في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النّار.[1]

-فما الأصول التي يجب مراعاتها عند التفسير بالرأي؟

الجواب عند الزرقاني، فقد عدّ أربعة أصول، وهي:[2]

1-النّقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم مع التحرر والتثّبت من صحة المنقول.

2-الأخذ بقول الصحابي، أن وُجِد وصحّ.

3-الأخذ بمطلق اللغة، والاحتراز عن صرف الآيات إلاّ بدليل.

4-الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع.

المبحث الرابع: شروط المفسر وآدابه

الحق أن أكثر من كتبوا في شروط المفسر وآدابه خلطوا بين ما هو شرط في المفسر كآداب وأخلاق ونحوه، وما هو شط في المفسر كناحية علمية لابد من توفرها.

1-الشروط التي لابد من توفرها في المفسر كآداب:

1-صحة الاعتقاد: فسَلامة العقيدة أمر مهم بالنسبة للمفسر، لأنه لو تطرق إليه فساد في عقيدته لفسر القرآن حسب مذهبه واعتقاده الفاسد فيكون تفسيره ظاهر التكلف والبعد عما

[1] أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى 279هـ، السنن، تح كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، ج5، ص183، رقم الحديث: 295.
[2] مناهل العرفان، الزرقاوي، ص59.

يحتمله اللفظ القرآني، قال ابن القيم رحمه الله: "لا يدرك معاني القرآن ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه".

2-صحة المقصد: يعني أن يخلص المفسر فلا يطلب بتفسيره عرضا من أعراض الدنيا الزائلة، وإنما يبتغي وجه الله تعالى، قال السيوطي رحمه الله: "ومن شرطه-أي المفسر-صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد" فقد قال تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا"[العنكبوت، 69].

3- التقوى: يشترط في المفسر أن يكون على أعلى مستوى من التقوى، وليكن دليل تقواه التأثر بما في القرآن في كل حياته، قال الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله: "فالتقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب، هي التي تفتح مغاليق القلب له، فيدخل ويؤدي دوره هناك، هي التي تهيئ لهذا القلب أن يتلقى وأن يستجيب..."

4-العمل بما في القرآن: ومن أخص شروط المفسر العمل بما في القرآن، اذ لا يمكن أن يتصور أبدا أن يوفق الإنسان لفهم القرآن وهو لا يعمل بما فيه، وغذا كان قد ثبت في الحديث أنّه: "رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه"، فلا أدري كيف يحالف التوفيق من أراد التفسير واللعنات تنزل عليه لعدم عمله بما في كتاب الله، نسأل الله المعافاة.

5-البعد عن خوارم المروءة: مهم جدا للمفسر-وطالب التفسير-أن يبتعد عن كل ما يزري به، إذ ينبغي أن يكون لحامل القرآن ومفسره فضل على غيره، بمزيد أدب ورجاحة عقل وبعد عما يشين الإنسان.[1]

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قال عبد الله بن عمرو: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ولكن يعفو ويصفح، لحق القرآن، لأن في جوفه كلام الله تعالى".

6-مداومة ذكر الله تعالى: قال القرطبي رحمه الله تعالى: "وينبغي له-أي حامل القرآن ومفسره-أن يكون لله حامدا، ولنعمه شاكرا، وله ذاكرا، وعليه متوكلا، وبه مستعينا، وإليه

[1] التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع حسين، ص29.

راغبا، وبه معتصما، وللموت ذاكرا له مستعدا، وينبغي له أن يكون خائفا من ذنبه، راجيا عفو ربه"

2-الشروط التي تتعلق من الناحية العلمية:

1-أن يكون المفر عالما بالحديث، فهو يحتاج إليه في بيان المجمل والمبهم من القرآن.

2-أن يكون عالما باللغة متبحرا فيها، لأن بها يتمكن من شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها.

3-أن يكون عالما بالصرف لأن به تعرف أبنية الكلمات، ومن الألفاظ ما لا يعرف إلا بتصريفه ومعرفة أصله.

4-أن يكون عالما بالنحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب فلا بد منه.

5-أن يكون عالما بالاشتقاق، لأن الاسم إن كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما، كالمسيح مثلا: هل هو من السياحة أو من المسح.

6-أن يكون عالما بالبلاغة بأقسامها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، حتى يعرف خواص تركيب الكلام من جهة إفادة المعنى ومن جهة اختلافه بحسب وضوح الدلالة وخفائها، ووجوه تحسين الكلام.

7-أن عالما بالقراءات، فهي جزء من الوحي لابد من الوقوف على معانيها.

8-أن يكون عالما بأصول الدين وأمور العقيدة.

9-أن يكون عالما بأصول الفقه إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام الشرعية.

10-أن يكون عالما بأسباب النزول.

11-أن يكون عالما بالناسخ والمنسوخ.

12-أن يستجمع ولو طرفا من العلوم الكونية كالطب والهندسة وغيره.[1]

أشهر المفسرين:

[1] عماد علي عبد السميع حسين، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، ص،30.

1-في عهد الصحابة: اشتهر بالتفسير من الصحابة عدد قليل، وهم: الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

وهناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء الناس: كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر عبد الله، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، وعائشة أم المؤمنين، وما نقل عن هؤلاء في التفسير قليل جدا، غير أن أربعة من الصحابة اشتهروا بالتفسير، ونقل عنهم فيه أكثر من غيرهم، وهم: 1-عبد الله بن عباس، 2-عبد الله بن مسعود، 3-علي بن أبي طالب، 4-أبي بن كعب، وقد رتبناهم على حسب كثرة الروي عنهم.[1]

2-في عهد التابعين: قامت على أيدي العلماء الأعلام في التفسير من الصحابة مدارس نسبت إليهم، وتتلمذ عليهم فيها نفر كثير من التابعين، هم أشهر المفسرين في تلك الفترة، وأشهر هذه المدارس:

1-مدرسة التفسير بمكة: وتنتمي إلى عبد الله بن عباس، وأشهر تلاميذه بها من التابعين: سعيد بن جبير، مجاهد بن جبير، عكرمة مولى بن عباس، طاوس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح.

2-مدرسة التفسير بالمدينة: تنتمي إلى أبي بن كعب، وأشهر تلاميذه من التابعين: أبو العالية: رفيع بن مهران الرياحي، ومحمد ابن كعب القرظي، وزيد بن أسلم.

3-مدرسة التفسير بالعراق: وتنتمي إلى عبد الله بن مسعود، وأشهر تلاميذه من التابعين فيها: علقمة بن قيس النخعي، مسروق بن الاجدع الهمداني، الأسود بن يزيد النخعي، مرة الهمداني، عامر الشعبي، الحسن البصري، وقَتادة بن دعامة السدوسي.[2]

[1] علم التفسير، محمد حسين الذهبي، ص25.
[2] علم التفسير، محمد حسين الذهبي، ص31.

الفصل الثاني

علم النحو وعلاقته بعلم التفسير

المبحث الأول: مفهوم علم النحو:

أ-لغة:

يقول ابن فارس في مقاييسه: "النون والحاء والواو كلمة تدل على القصد، ونحوت نحوه"[1]، ولذلك سمي نحو الكلام، لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به، ويقال إن بني نحو من قوم من العرب، وأما أهل المنحاة فقد قيل: القوم البعداء غير الأقارب. ومن الباب: انتحى فلان لفلان: "قصده وعرض له". وجاء في المعجم الوسيط: "النحو هو القصد: يقال نحوت نحوه قصدت قصده والطريق والجهة والمثل والمقدار والنوع والجمع أنحاء ونحو". وله عدة معان أخرى منها الموضوع ومنها ما هو متروك وما ذكرنا هو المشهور من معاني النحو.

ب-اصطلاحا:

علم النحو عند العرب هو العلم الذي يعرف به أحوال أواخر الكلمات إعرابا وبناء كما يعرف به النظام النحوي للجملة، وهو ترتيبها ترتيبا خاصا بحيث تؤدي كل كلمة فيها وظيفة معينة حتى إذا اختل هذا الترتيب اختل المعنى المراد.[2]،نعلم النحو خلاف علم الصرف فهو يهتم بأواخر الكلمات فقط للتعرف على حالتها التركيبية في الجملة في الاعراب و البناء بينما يهتم علم الصرف بالكلمة كلها، ويراد به تصحيح اللسان وتقويمه في النطق وتصحيح الكتابة والاملاء، وهو علم أساسي في فهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: نشأة علم النحو

جاء الإسلام واللغة العربية مستكملة أدوات التعبير، ولها تراث أدبي حافل مفصح عن شتى المشاعر الوجدانية والاجتماعية، فالعرب أمة فصاحة بلاغة تتأثر بالبيان الرفيع والجملة الوجيزة الموحية، وكانت أسواق العرب في جاهليتها قد قامت بالاصطفاء من لغات القبائل، وأخذ الشعراء والبلغاء أنفسهم بما أجمعوا على استحسانه منها حتى تنافسوا في ذلك وأصبحت هذه اللغة المصطفاة هي المتفق على التعبير بها. وصرنا نسمع شبه هذا الاجماع على سلامة

[1] مقاييس اللغة، أبو حسين احمد بن فارس بن زكريا، مادة (ن، ح، و)، ج5، ص403.
[2] النحو والنحاة المدارس والخصائص، خضر موسى محمد محمود، عالم الكتب، لبنان، ط1، 2003م، ص9

لغة قبائل الجزيرة والطعن بلغات أهل السواحل لمخالطتهم الأجانب في الاسفار والتجارات، فلما كانت الفتوحات واختلاط العرب الفاتحين بالشعوب التي كانت تحت سيطرة الفرس والبيزنطيين والأحباش، ودخول كثير من هؤلاء في الإسلام، واضطرارهم إلى تعلم ما استطاعوا من العربية، وكان بين العرب الفاتحين وهؤلاء الشعوب اختلاط وأخذ وعطاء، فتسرب الفساد إلى لغة الكثير من العرب وبدأ يسمع لحن في التخاطب.[1] ،قليلا في الأول ثم أخد في الانتشار قوله حتى لفت إليه أنظار المسؤولين وغيرهم من أهل الحل والعقد، وقد ظهر اللحن قليلا خفيفا منذ أيام الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ لحن رجل بحضرته فقال :"أرشدوا أخاكم فإنه ضل" والظاهر أنه كان معروفا باسم اللحن، بدليل أن السيوطي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لي اللحن"[2]، وأثبتت المصادر عددا من حوادث اللحن في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ ذكرت أن عمر مر على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا: "إنا قوم متعلمين" فأعرض مغضبا وقال: "والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم"[3].وغيرها كثير من الحوادث، غير أن أسوأها تسرب اللحن إلى قراءة الناس للقرآن، فقد قدم أعرابي في خلافة عمر فقال: "من يقرئني شيئا مما أنزل على محمد؟" فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللحن: "...من المشركين ورسولِه" بكسر لام رسوله بدل رفعها، فقال الأعرابي: "إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه" فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: "يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ..... وقص عليه القصة، فقال عمر: "ليس هكذا يا أعرابي" فقال: "كيف هي يا أمير المؤمنين؟ " فقال: ".... أن الله بريء من المشركين ورسولُه"، فقال الأعرابي: "وأنا أبرأ ممن الله ورسوله منهم". فأمر عمر ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة.[4]

وتكاد قصة أبي الأسود الدؤلي تكون المعلم المشهور في تاريخ النحو: فقد دخل عليها أبوها في وقدة الحر بالبصرة فقالت له: "يا أبت ما أشدُّ الحر" رفعت (أشد) فظنها تسأله وتستفهم منه: أي زمان الحر أشد؟ فقال لها: "شهرا ناجر"، فقالت: "إنما أخبرتك ولم أسألك".

[1] من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص7.
[2] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح محمد أحمد جاد المولى، على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، مصر، ط1، 1971م، ج2، ص397. (ورواه السيوطي في الجامع الصغير عن الطبراني وضعفه المحدثون).
[3] من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، ص9.
[4] من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، ص10.

وروى الجاحظ أن أول لحن سمع بالبادية: هذه عصاتي بدل عصاي، وأول لحن سمع بالعراق: حي على الفلاح (بكسر الياء بدل فتحها). ولا تزال القصص كثيرة لا نستطيع أن نذكرها كلها هنا، غير أنها تشترك في أشياء، إذ نجد فيها أن الخوف على العربية له ما يفرضه من النذر وأنه تمكن في النفوس حتى تضافرت جهود العلماء وذوي السلطان على صيانة العربية.

ما مضى ذكره وبيانه من أحداث اللحن حمل القوم على الاجتهاد لحفظ العربية وتيسير تعلمها للأعاجم، فشرعوا يتكلمون في الأعراب وقواعده حتى تم لهم مع الزمن هذا الفن.

و الذي تجمع عليه المصادر أن النحو نشأ بالبصرة، وبها نما واتسع وتكامل وتفلسف، وأول من أرسل في النحو كلاما أبو الأسود الدؤلي المتوفي سنة 67هـ[1]، وقيل إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ألقى على أبي الأسود شيئا من أصول هذا النحو ثم قال له: "انح هذا النحو" فسمي النحو نحوا.

وقيل إن أول من تكلم فيه، نصر بن عاصم المتوفي سنة 89هـ وقيل عبد الرحمان بن هرمز ت 117هـ وقيل يحيى بن يعمر ت 129هـ أو ابن أبي إسحاق الحضرمي 117هـ وقيل وقيل..... لكن المشهور من القول والمتفق عليه من قبل أغلب العلماء: أن أبو الأسود الدؤلي هو واضع علم النحو، ولا يستبعد أحد ذلك، لأنه قد عرف بذكاء نادر وجواب حاضر، وبديهة نيرة ثم هو بعد بليغ أريب مرن الذهن، وحسبنا اختراعه (الشكل) الذي عرف بنقط أبي الأسود للدلالة على الرفع والنصب والجر والتنوين وهو ما أجمعوا عليه قديما ولم يشك فيه حديثا أحد.[2]

فعلم النحو إنما وضع لسببين اثنين، أولهما ديني: فقد وضع علم النحو لحفظ القرآن الكريم من اللحن (كما سبق وذكرنا في قصص اللاحنين فيه)، والثاني لتسهيل تعلم العربية للأعاجم الذين دخلوا في الإسلام. ومن أشهر علماء النحو الذين ذاع صيتهم ووصل إلينا علمهم: الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أبو الأسود الدؤلي، الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه (وهذا الأخير أكثرهم شهرة صاحب "الكتاب")، المبرد، الكسائي، الفراء، ابن جني، الزمخشري، الأنباري، الإسترابادي والأخافش وغيرهم كثير.

[1] من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، ص27.
[2] من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، ص29.

المبحث الثالث: كتب المعاني والإعراب وعلاقتها بتفسير القرآن الكريم:

لقد اختص بعض اللغويين والنحويين بتآليف خاصة بالقرآن، ذات منهج خاص، نظرا لوجود علاقة وطيدة بين علم النحو والتفسير، وهي كتب المعاني والإعراب، وسنتحدث عنها بإيجاز فيما يلي:

أ-كتب المعاني: تعمد هذه الكتب إلى الكلام عن لغة القرآن، وبيان وجوه إعرابه، والوقوف عند مشكله وتجلية معانيه، وترتبط بما يشكل في القرآن، ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه[1]، فهذه الكتب تمثل صورة من صور التفسير اللغوي، ويتضح فيها جليا أثر علم اللّغة والنّحو في التفسير، وقد شاع هذا العنوان فترة من الزّمن، فقد تطرق العديد من المؤلفين لهذا الموضوع، وشاع هذا العنوان ردحًا من الزمن، ومن أمثلة هذا النوع من التآليف نذكر: كتاب مجاز القرآن الذي ألفه أبو عبيدة، معمر بن المثنى 209هـ.وهو من أقدم الكتب في هذا الفن، وقد عدّبعض الباحثين أبا عبيدة، أول من صنف في معاني القرآن من أهل اللغة.[2]

ونجد أيضا كتاب معاني القرآن الذي ألّفه الفراء عام 307هـ، حيث يعرض فيه الفراء الآية ويحلّلها

تحليلا لغويّا ونحويّا.

ب-كتب الإعراب:

الإعراب في اللغة الإبانة والإفصاح، وأعرب الرجل عن نفسه، إذا بين وأوضح[3]وفي معجم المقاييس إعراب الكلام أيضا من هذا القياس، لأنّ بالإعراب يفرّق بين المعاني في الفاعل والمفعول والنّفي والتعجب، والاستفهام، وسائر أبواب هذا النحو من العلم[4].

[1] معاني القرآن، الفراء يحيى بن زياد، تح أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980، ص11.

[2] معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي، تح فائز فارس، ط2، 315هـ، 1981م، ح1، ص55.

[3] مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، مادة (ع، ر، ب)، ج3، ص766.

[4] مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس بن زكريا، مادة (ع، ر، ب)، ج3، ص766.

وتوجد رابطة وثيقة بين الإعراب والمعنى لا تخفى علينا، لذا قالوا الإعراب فرع عار فإعراب النص تجلية لمعانيه، وكشف لأحكامه[1].

قال السيوطي في شروط من أراد إعراب القرآن إنّ أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردًا أو مركبًا قبل الإعراب، فإنّه فرع المعنى، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور، إذا قلنا بأنّها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه[2].

لذلك فإن المعرب ينزل إذا نظر في ظاهر اللفظ فقط، ولم ينظر في موجب المعنى[3].

وكما نعلم فقد تضمنت كتب المعاني وجوه إعراب آيات القرآن الكريم، وتعرضت لذلك بالمقدار الذي يوضح دلالته ومعانيه، ويقف على مقاصده وأحكامه، إذن ما الذي تميزت به كتب الإعراب عن كتب المعاني؟

إنّ كتب المعاني التي اهتمت بالنحو وتوضيح المعاني اللغوية للكلمات والمفردات وربما عرجت على أسباب النزول وقصص القرآن بمقدار حاجة البيان، هي التي ولّدت هذا النوع من التآليف، وقد سار الإعراب في طريق الانفصال والتطور حتى استقل عن المعاني وتحولت الأخيرة إلى كتب تفسير[4].

وظهرت تآليف تعنى بإعراب كلمات القرآن وجمله، وانحصارها في هذه الناحية من القرآن، جعلها علما قائما بذاته، ثم تباينت مناهج العلماء في إعراب القرآن الكريم، فمنهم من اقتصر على إعراب المشكل فقط، ومنهم من عرض لإعراب غريبه، ومنهم من قصد إلى إعرابه كاملا، ومنهم من عرض أشكال الإعراب وجعل لكل شكل بابًا، ومنهم من جمع بين أوجه القراءات والإعراب.[5]

---

[1] أبو السعود ومنهجه في النّحو من خلال تفسيره، عماد أحمد بن سليمان، ص10

[2] الإتقان في علوم القرآن، السيوطي د ط، د ت، ج1، ص257.

[3] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام جمال الدين الأنصاري، تح مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط6، 1958م، ص886.

[4] النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا ط3، 1991، ج1، ص136.

[5] التبيان في إعراب القرآن، العكبري عبد الله بن الحسين، تح علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ج2.

ومن أشهر كتب إعراب القرآن التي اعتنت بالعلاقة بين النحو وفهم معاني القرآن: كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، كتاب إعراب القرآن لابن النحاس، وكتاب البيان في إعراب القرآن للعُكبري.

المبحث الرابع: أهمية النحو في علم التفسير:

يعد النحو أداة من أدوات فهم النص، لأنّه باختلاف الإعراب يتغير ويختلف المعنى، إذ الإعراب يبين المعنى وهو الذي يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين.

والقرآن نزل بلسان عربي مبين، وطلب فهمه إنّما يكون من هذا الطريق خاصة، لأنّ الله تعالى يقول« إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» [يوسف،2]. فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه الصحيح من غير هذه الجهة، وكل معنى مستنبط من القرآن، غير جار على اللسان العربي، فليس من علوم القرآن في شيء، لا ممّا يستفاد منه ولا ممّا يستفاد به، ومن ادّعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل.[1]

قال الزجاجي: "فإن قيل: فما الفائدة من تعلم النحو؟ ...فالجواب في ذلك أن يقال له: الفائدة فيه للوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابًا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله عز وجل الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنّه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب[2] .

ويقول أبو حيان: "فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، أن يعتكف على كتاب فهو سيبويه، فهو في هذا الفن المعول والمستند عليه في حلّ المشكلات[3].

وقال ابن عطية: إعراب القرآن أصل في الشريعة لأنّ بذلك تقوم معانيه التي هي في الشرع[4].

---

[1] الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، تح مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، مصر، د ط، 1997م.

[2] الإيضاح في علم النحو، أبو القاسم الزجاجي، تح مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، 1979.

[3] تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح عادل أحمد بن عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 2001م.

[4] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1391هـ.

الفصل الثالث

علم النحو في تفسير التحرير والتنوير

مسألة: تقديم المجرور على عامله

قال تعالى: "والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون" [البقرة، 04]

جاء في تفسير ابن عاشور: "عطف على «الذين يؤمنون بالغيب» و«بالآخرة هم يوقنون» تقديم المجرور الذي هو معمول يوقنون على عامله وهو تقديم لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة وقوله «هم يوقنون» جيء بمسند إليه مقدم على المسند الفعلي لإفادة تقوية الخبر"[1].

أشار ابن عاشور إلى تقديم المسند إليه على المسند قد جاء المسند إليه خبرا والمسند مبتدأ وعلة التقديم كون الخبر «بالآخرة» شبه جملة والمبتدأ نكرة ولذلك أفاد في تقوية الخبر.

مسألة تقدير المبتدأ بعد "سواء":

قال تعالى: «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»

يقول محمد الطاهر ابن عاشور: "وقوله: «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون» خبر إن الذين كفروا، وسواء اسم بمعنى الاستواء.

وأظهر أن سواء خبر مقدم وأن الفعل الواقع بعده مقترن بالهمزة في تأويل مبتدأ لأنه صار بمنزلة المصدر أن تجرد عن النسبة وعن الزمان فالتقدير في الآية: سواء عليهم انذارك وعدمه.

وأظهر أن المبتدأ بعد سواء مقدر يدل عليه الاستفهام الواقع معه وأن التقدير سواء جواب «أأنذرتهم أم لم تنذرهم» ولك أن تجعل سواء مبتدأ رفعا لفاعل الخبر لأن سواء في معنى مستو فهو في قوة اسم الفاعل فيرفع فاعلا سد مسد خبر مبتدأ".[2]

هنا يبين ابن عاشور أن المعنى النحوي لسواء ابراز حقيقة التسوية أو التساوي بين حالتين متناقضتين هما الإنذار وعدمه فالنتيجة نفسها وهي عدم الايمان والخضوع لله.

قال تعالى: «صم بكم عمي فهم لا يرجعون» [البقرة، 18]

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج1،ص237، 240

[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج1، ص249، 350.

جاء في تفسير ابن عاشور: ‘‘إخبار لمبتدأ محذوف يعود إلى ما عدا إليه ضمير ‘‘مثلهم" ولا يصح أن يكون عائدا على الذي استوقد منه لأنه يلتئم به أول الشبه وآخره لأن قوله: «كمثل الذي استوقد نارا» يقتضي أن المستوقد ذو بصر وإلا لما تأتي منه الاستيقاظ وحذف المسند إليه، في هذا المقام استعمال شائع عند العرب إذ ذكروا موصوفا بأوصاف أو إخبار جعلوه كأنه قد عرف للسامع فيقولون فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير هو فلان".[1]

صم خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره لمبتدأ محذوف تقديره هم وتقدير الكلام: "هم صم هم بكم هم عمي فهم لا يرجعون" حذف المبتدأ وجوبا لأن الخبر وقع صفة مقطوعة للذم. ولهذا فسر ابن عاشور هذه الآية على هذا النحو.

مسألة تعدي أفعال اليقين إلى مفعولين:

قال تعالى: «ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون» [البقرة، 96]

يقول ابن عاشور: "وقوله «لتجدنهم» من الوجدان القلبي المتعدي إلى مفعولين"[2] وقوله لتجدنهم ومصدر الكلمة وجد وهو من أفعال اليقين التي تدل على تحقيق وقوع الخبر بنسبة مئة بالمئة وهي من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين وهذا ما اعتمد عليه ابن عاشور في تفسيره.

مسألة إفادة أم التسوية:

قال تعالى: «أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل» [البقرة، 108].

يقول ابن عاشور: "أم حرف عطف مختص بالاستفهام وما في معناه وهو التسوية".[3]

أم: حرف عطف تفيد التسوية وهو بمعنى بل، كما أنها تفيد طلب تعيين أحد الشيئين.

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج1، ص313.
[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج1ن ص617.
[3] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج1، ص665.

أم في هذا الوضع أفادت في الآية: «أم تريدون أن تسألوا» وهو ما رجع إليه ابن عاشور في تفسيره.

مسألة تكرير النداء وفائدته:

قال تعالى: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» [البقرة، 128]

جاء في تفسير ابن عاشور: "فائدة تكرير النداء فيقوله تعالى: «ربنا» اظهار الضراعة إلى الله وإظهار أن كل دعوة من الله هذه الدعوات مقصودة إلا بالذات وبذلك لم يكرر النداء إلا عند الانتقال من دعوة إلى أخرى فالدعوة الأولى لطلب تقبل العمل والثانية لطلب الاهتداء".[1]

جاء النداء الأول في قوله تعالى: «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم» [البقرة، 127]

ثم تكرر النداء الثاني في قوله: «ربنا واجعلنا مسلمين» لأن هناك أمر عظيم ومهول والغرض منه تأكيد تحقق طلب المنادى مهما كان صعبا أو مستحيلا وهنا وقع المنادى «ربنا» منادى منصوب بالفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، ولذلك فسر ابن عاشور هذه الظاهرة على هذا النحو.

مسألة: الاستثناء

قال تعالى: «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلّا لنعلم من يتبع الرّسول ممّن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلّا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إنّ الله بالناس لرءوف رحيم» [البقرة، 143]

جاء في تفسير ابن عاشور " والاستثناء في قوله «إلا لنعلم» استثناء من علل وأحوال أي ما جعلنا ذلك لسبب وفي حال إلا لنظهر من كان صادق الإيمان في الحالتين حال تشريع استقبال بيت المقدس وحالة تحويل الاستقبال إلى الكعبة".[2]

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج2، ص219-720.
[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج2، ص22.

إلا: أداة حصر واستثناء، واللام للتعليل، نعلم: فعل مضارع بأن المضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن، والمصدر المؤول من أن المضمرة والفعل في محل جر اللام والجار والمجرور متعلقات بالمحذوف في محل نصب على الاستثناء والتقدير.

وبالتالي إلا وقعت أداة استثناء فكان المستثنى منه الفئة التي تتبع الرسول، أما المستثنى فهي الفئة التي لم تتبعه وهو استثناء من علل وأحوال لأن الغرض منه معرفة من يتبع ومن لن يتبع ومعرفة المؤمن من غير المؤمن، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور في تفسيره.

مسألة: الجملة الشرطية

قال تعالى: «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم» [البقرة، 158].

يقول ابن عاشور في تفسيره: "وقرأ الجمهور «من تطوع» بصيغة الماضي، وقرأه حمزة والكسائي ويعقوب وخلف يطوع بصيغة المضارع وياء الغيبة وجزم العين.

ومن هنا شرطية بدليل الفاء في جوابها: وقوله «فإن الله شاكر عليم» دليل الجواب إذ التقدير ومن تطوع خيرا جوزي به لأن الله شاكر"[1]

وقعت جملة تطوع جملة شرط للجملة التي تلتها «فإن الله شاكر عليم»، وهي جملة جواب الشرط، أما الفاء أداة الشرط، حيث أنها اقترنت بالجملة الاسمية «فإن الله شاكر عليم» وجوبا وهذا ما جعل ابن عاشور يفسر الآية على هذا النحو.

مسألة: وقوع إذ بدل اشتمال

قال تعالى: «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتُبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (166) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا لذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار» [البقرة 166، 167].

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج2، ص65.

قال ابن عاشور: "إذ ظرف وقع بدل اشتمال من ظرف «إذ يرون العذاب» أي لو تراهم في هذين الحالين حال رؤيتهم العذاب وهي حالة فظيعة وتشتمل على حال اتخاذهم وتبرئ بعضهم من بعض وهي حالة شنيعة وهما حاصلان في زمن واحد".[1]

إذ: ظرف لما مضى من الزمن وهي بدل اشتمال من إذ في الآية السابقة.

نلاحظ في هذه الآية وقعت مما اشتمل عليه المبدل منه في الآية السابقة «ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب» [البقرة، 165]، إذن المبدل منه هو: "إذ" وهذا ما أوله ابن عاشور في تفسيره للآية.

مسألة: الباء حرف جر وإفادتها للمصاحبة

قال تعالى: «فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم» [البقرة، 178].

يقول ابن عاشور: " والباء في قوله بالمعروف للملابسة أي فاتباع مصاحب للمعروف أي رضا وقبول، وحسن اقتضاء إن وقع مطل، وقبول التنجيم إن سأله القاتل".[2]

الباء حرف جر يفيد المصاحبة "وبالمعروف" اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

وبالتالي الباء حرف جر ومن معانيها الاستعانة، التبعيض، وتدل على الظرف، والسبب وهنا أفادت المصاحبة لأن الاتباع بالمعروف جاء مصاحبا للعفو، ولهذا فسر ابن عاشور هذه الآية بهذا الشكل.

مسألة: وقوع الجملة مفعولا لأجله

قال تعالى: «وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» [البقرة، 213].

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج2، ص96.
[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج2، ص143.

قال ابن عاشور: "قوله: «بغيا بينهم» مفعول لأجله لا اختلفوا: البغي: الظلم وأصل البغي في كلام العرب الطلب".[1]

جاءت جملة "بغيا بينهم" بيانا لسبب وقوع الفعل اختلفوا إذن بغيا مفعول لأجله منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

ونلاحظ أن بغيا هي مصدر منصوب يبين سبب ما قابله ويشارك العامل (اختلفوا) في الزمن والوقت وفي الفاعل أيضا. ولهذا اعتبر ابن عاشور بغيا بينهم مفعول لأجله.

مسألة في اسم الإشارة

قال تعالى: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات» [البقرة، 254].

يقول محمد الطاهر ابن عاشور: "جاءت (تلك) على أنها اسم إشارة مبنية في محل رفع والرسل خبر للمبتدأ قرن اسم الإشارة بكاف بعد تنوينها بمراتبهم كقوله (ذلك الكتاب) اسم إشارة مبتدأ والرسل خبر وليس الرسل بدلا لأن الاخبار عن الجماعة....وجملة (فضلنا) حال".[2]

أي أن تلك جاءت تعبر عن تنويه بمراتب الرسل لهذا لم تعرب بدل بل مبتدأ كما أنها دلت على جماعة، لهذا لا يشترط أن تعرب اسم الإشارة بدل فقد تأتي في محل رفع مبتدأ أو ذلك بحسب موقعها في الجملة.

قال تعالى: «ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات» [البقرة، 253].

يقول محمد الطاهر ابن عاشور: "فمن بعدهم مضاف إليه لأنه سبق بحف جر يجوز أن يكون الضمير المضاف إليه في قوله: «من بعدهم» مراد به جملة الرسل أي لو شاء الله ما اقتتل الذين من بعد.... يجوز أن يكون ضمير الرسل على إرادة التوزيع".[3]

فيجوز أن يكون الضمير في هذه الجملة مضاف إليه يعود على الرسل في الآية السابقة، وقد يأتي ضمير يدل على إرادة التوزيع ويقصد بها توزيع الرسل.

---

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج2، ص310.
[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج3، ص06.
[3] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج3، ص10.

مسألة جمع ما لا يعقل جمع من يعقل لعلة الاسناد

قال تعالى: «الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» [البقرة، 275].

يقول ابن عاشور: "وجملة يخرجهم خير ثان اسم جلالة (الله)، وجملة يخرجونهم حال من طاغوت وأعيد الضمير إلى الطاغوت بصيغة جمع العقلاء لأنه أسند إليهم ما هو من فعل العقلاء، في حقيقة سبب الخروج لا مخرجين وتقدم الكلام على الطاغوت".[1]

اذن جاءت الطاغوت حال لأنها كانت مسبوقة باسم إشارة (الذين) والطاغوت معرفة، ويخرجونهم خبر ثان، كما أن الاسناد يكون للعقلاء لهذا فهي تفيد جمع بصيغة العقلاء.

مسألة حذف لام التعليل:

قال تعالى: «ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت» [البقرة، 258].

يقول ابن عاشور: " فجملة «أتاه الله الملك» تعليل حذفت منه لام التعليل وهو تعليل لما يتضمنه حاج من الأقدام...فهو تعليل محض وليس علة غائية مقصودة للمحاج من حجاجه، وجوز صاحب الكشاف أن يكون تعليلا غائيا أي حاج لأجل أن الله أتاه الملك".[2]

جاءت (إذ) في هذه الجملة تعليلية لأنها أدت معنى لام التعليل ثم حذفت لام التعليل، كما أن هذه الجملة تعليل وحجج كيف أتاه الله الملك (إبراهيم) و (بهت) فعل مبني للمجهول، ويقال بهته فبهت أعجزته عن الجواب، فبهت تدل على إعجاز عن الجواب لسؤال مطروح.

مسألة تقدم المسند على المسند إليه في الجملة الاسمية

قال تعالى: «ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء» [البقرة، 272].

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج3، ص31.
[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج3، ص32.

يقول ابن عاشور: "فتقدم الظرف (عليك) على المسند عليه (هداهم) تقرر في علم المعاني أن تقديم المسند الذي حقه التأخير يفيد قصر المسند إليه على المسند وكان ذلك للإثبات وصور الاثبات مفيد للحصر".[1]

لأن الجملة المتكيفة بالقصر في حالة الاثبات نسبتها بقيد الانحصار وموضوعها في معنى محمولها.

مسألة: إفادة(كلٌّ) غرضين:

قال تعالى: «آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» [البقرة، 285].

يقول محمد الطاهر ابن عاشور: "كلمة المؤمنون معطوف على الرسول، وقوله "كل أمن بالله" جمع بعد التفصيل، وإن كانت "كل" من الأسماء اللازمة الإضافة فإذا حذف المضاف إليه نُوِنَت عوض عن مفرد كما نبّه عليه ابن مالك في التسهيل...أن "كل" اسم معرب بعد التنوين قد يفيد غرضين فهو استعمال الشيء في معنييه فمن جواز أن يكون عطف (المؤمنون) عطف جملة وجعل (المؤمنون) مبتدأ وجعل "كل" مبتدأ ثانيا و"آمن" خبره".[2]

ومن هنا نجد أن (كل)بعد تنوينها تحتاج إلى مبتدأ أوّل ومبتدأ ثان لهذا قام بعطف المؤمنون على الرسول، لأنّ "كل" تفيد غرضين إذا قمنا بتنوينهما فهي تحتاج إلى مبتدأ أوّل ومبتدأ ثان وخبر "غفرانك" نصب على المفعول المطلق (أي اغفر غفرانك) فهو بدل من فعله اغفر.

مسألة: (كلما) جملة ظرفية

قال تعالى: «كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب» [آل عمران، 37].

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج3، ص70.
[2] تفسير من التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج3، ص132.

يقوا ابن عاشور: "... و(كلما) هي كلمة مركبة من كل وهو اسم لعموم ما يضاف هو إليه، وما الظرفية وهذه الجملة هي جملة ظرفية لأنّها مقترنة بـ(ما) وهي أداة ظرف وجملة «وجد عندها رزقا» هي بدل اشتمال من جملة "وكفلها زكرياء".[1]

فكل عند اتصالها بـ(ما) الظرفية تصبح جملة ظرفية.

مسألة: بدل الاشتمال

قال تعالى «إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه اسم المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين» [آل عمران، 45و 46].

يقول محمد الطاهر ابن عاشور "...جملة قالت الملائكة هي بدل اشتمال وقصد منه التكرير لتكميل المقول بعد الجمل المعترضة، ولكونه بدلا لم يعطف على "إذ قالت" الأول وتقدم الكلام على يبشرك، فقد جاء بدل اشتمال لأنه لم يكن معطوفا ويقصد به التكرير لتكميل المقول، وهي جملة معترضة و «من الصالحين» من حرف جر والصالحين جاءت في موضع الحال وهي كذلك جملة ظرفية لأنها مسبوقة بظرف، وتفيد الظرفية.

وقوله "في المهد" حال لأنه جاء معرفة من ضمير يكلم كهلا في محل جار ومجرور وهو مسبوق بـ في، وهي في موضع الحال(ومن الصالحين) معطوف على «ومن المقربين» جاءت معطوفة لأنها ربطتهم "واو" وحرف جر "من".

مسألة إفادة قد مع المضارع التكثير:

قال تعالى: «قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا..» [الأحزاب، 18].

يقول محمد الطاهر ابن عاشور: "ودخول قد على المضارع لا يخرجها عن معنى التحقيق عند المحققين من أهل العربية، وأن ما توهموه من التقليل إنما دل عليه المقام في بعض المواضع

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج3، ص 132.

لا من دلالة (قد)، ومثله إفادة التكثير، وتقدم ذلك عند قوله تعالى: «قد نرى تقلب وجهك في السماء» في سورة البقرة، وقوله تعالى: «قد يعلم ما أنتم عليه» في آخر سورة النور".[1]

يقرر ابن عاشور أن: دخول (قد) على المضارع يأتي للتكثير كثيرا دون أن يخرجها عن معناها اللازم وهو التحقيق، وقد قال علماء النحو بأن العرب في كلامهم إذا جاء بعد قد أفعال العلم أفادت التحقيق، وتفيد التقليل والتكثير من سياق الكلام، كقول زهير:

أخي ثقة لا تهلك الخمر ما له ولكنه قد يهلك المال نائله

ففي هذه الآية أفادت قد المعنيين، فقد أفادت التحقيق لأن المعوقين بنفاقهم ومرض قلوبهم وشكون في لازم هذا الخبر وهو إنباء الله رسوله عليه الصلاة والسلام بهم، أو لأنهم لجهلهم الناشئ عن الكفر يظنون أن الله لا يعلم خفايا القلوب، وأفادت التكثير لتبين شدة تثبيط المنافقين للمؤمنين، فالعوق اسم فاعل من عوق الدال على شدة حصول العوق، فجاءت قد لتبين شدة تعويق المنافقين للمؤمنين عن القتال.

في هذا المثال نعلم أن ابن عاشور اعتمد على النحو في تفسير الآية وهنا تكمن أهمية النحو لعلماء التفسير، فمن خلال معرفة خصائص الحرف قد وما يفيد ثم تفسير الآية.

مسألة العطف على محذوف والفاء الفصيحة:

قال تعالى: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه» [الحجرات، 12].

يقول محمد الطاهر ابن عاشور: "والفاء في قوله «فكرهتموه» فاء الفصيحة، وضمير الغائب عائد إلى «أحدكم» أو يعود إلى «لحم»

والكراهة هنا: الاشمئزاز والتقذر، والتقدير: إن وقع هذا أو إن عرض لكم هذا فكرهتموه. وفاء الفصيحة تفيد الالزام بما بعدها كما صرح به الزمخشري في قوله تعالى: «فقد كذبوكم بما تقولون» في سورة الفرقان، أي تدل على أن لا مناص للمواجهة بها من التزام مدلول جواب شرطها لمحذوف".[2]

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج21، ص294.
[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج26، ص255.

قدر الكثير من العلماء العطف في قوله تعالى: «فكرهتموه» عطف على محذوف، وهو عطف على المعنى، واختلف في تأويله، قال الفراء في تقديره: "فقد كرهتموه فلا تفعلوه"، وجعل الزمخشري فاء (فكرهتموه) الفاء الفصيحة، إذ قال: "ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله تعالى: «فكرهتموه»، معناه فقد كرهتموه، واستقر ذلك وفيه معنى الشرط أي ان صح هذا فكرهتموه، وهي الفاء الفصيحة، وهذه الأخيرة هي الفاء التي تدل لفظ محذوف يعد سببا في حدوث ما بعده، وقد يكون هذا المحذوف نهيا، أو معطوفا عليه، أو شرطا، قيل: إنها سميت بالفصيحة لأنها تفصح عن المحذوف، أو لأن الفصيح يعرفها ويميز بينها وبين غيرها. والعرب تعطف على محذوف فتذكر المعطوف وتحذف المعطوف عليه إذا كان غير مهم ذكره أو أفاد معناه السياق أو ما سبقه من القول. إذ كانوا يتحرون في كلامهم الأهمية المعنوية وعلاماتها ليكون بعيدا عن اللبس والتناقض.

فإن كون ابن عاشور ضليعا في اللغة أمكنه من تمييز الفاء، بأنها الفاء الفصيحة وعلم أن في النص محذوف أغنى عنه ما هو مذكور.

مسألة إضافة الشيء إلى نفسه:

قال تعالى:1- «فأنبتنا به جنات وحب الحصيد» [ق، 9].

2- «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» [ق، 16].

يقول الطاهر ابن عاشور: "والحب: هو ما ينبت في الزرع الذي يخرج سنابل تحوي حبوبا مثل البر والشعير والذرة والسلت مما تحصد أصوله ليدق فيخرج ما فيه من الحب. و «حب الحصيد» مفعول «أنبتنا» لأن الحب مما نبت تبعا لنبات سنبله المدلول على إنباته بقوله «الحصيد» إذ لا يحصد إلا بعد أن ينبت.

والحصيد: الزرع المحصود، أي المقطوع من جذوره لأكل حبه، فإضافة «حب» إلى «الحصيد» على أصلها، وليست من إضافة الموصوف إلى الصفة".[1]

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج26، ص292.

ففي قوله تعالى: «وحب الحصيد» يقول الفراء: فالحب هو الحصيد وهو مم أضيف إلى نفسه ومثله: «من حبل الوريد» لأن الحبل عنده هو الوريد بعينه أضيف إلى نفسه، وقد كثرت الأمثلة في هذا الشأن سواء في القرآن الكريم أو كلام العرب وقد أجازه النحاة الكوفيين شرط أن يختلف لفظا المتضايفين، بينما منعه نحاة البصرة، ومن أمثلة ذلك قول: امرئ القيس في معلقته:

كبكر المقناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل.

فقوله: (بكر المقناة) هي من إضافة الموصوف إلى صفته فالمقناة هي البكر، وفائدة ذكر هذا الوصف كما يقول ابن عاشور: الإشارة إلى اختلاف أحوال استحصال ما ينفع الناس من أنواع النباتات فإن الجنات تستثمر وأصولها باقية والحبوب تستثمر بعد حصد أصولها، على أن في ذلك الحصيد منافع للأنعام تأكله بعد أخذ حبه كما قال تعالى: «متاعا لكم ولأنعامكم». وهذا ما اعتمد ابن عاشور إليه في تفسيره.

مسألة: إفادة(قد) مع الفعل الماضي التحقيق

قال تعالى: «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إنّ الله سميع بصير» [المجادلة، 1].

يقول ابن عاشور: "وقد أصله حرف تحقيق للخبر، فهو من حروف توكيد الخبر ولكن الخطاب هنا للنبيء صلى الله عليه وسلم وهو لا يخامر، تردّد في أنّ الله يعلم ما قالته المرأة التي جادلت زوجها، فتعين أنّ حرف(قد) هنا مستعمل في التوقع، أي الإشعار بحصول ما يتوقعه السامع، قال في الكشاف لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله لمجادلتهما وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها، هـ".[1]

قد: حرف تحقيق مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

وبالتالي فإنّ دخول(قد) على الماضي يأتي للتحقيق والتوقع، فهي تدل على أنّ ما بعد(قد) محقق وهو واقع سيقع، فالرسول صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا متوقعين أن يسمع الله مجادلتها

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج28، ص8.

وشكواها، وينزّل ما يفرج عنها، وهذا ما حدث. وعلى هذا اعتمد ابن عاشور في شرح هاته الآية.

مسألة: إفادة لولا التحضيض

قال تعالى: «ألم تر إلى الذين نهوا عن النّجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاسم والعدوان ومعصيتِ الرسول وإذا جاءوك حيّوك بما لم يحيِّك به الله ويقول في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنّم يصلونها فبيس المصير» [المجادلة، 8].

يقول ابن عاشور في كتابه تفسير التحرير والتنوير: "ولولا للتحضيض أي هلاّ يعذبنا الله بسبب كلامنا الذي نتناجى به من ذم النبيء صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك، أي يقولون ما معناه لو كان محمد نبيئا لعذبنا الله بما نقوله من السوء فيه ومن الذم وهو ما لخّصه الله من قولهم بكلمه «ولولا يعذبنا الله» فإن لولا التحضيض مستعملة كناية عن جحد نبوءة النبيء صلى الله عليه وسلم، أي لو كان نبيئا لغضب الله علينا فلعذبنا الان بسبب قولنا له".

لولا: حرف تحضيض مبني على السكون لا محل لها من الإعراب.

في هاته الآية يقر ابن عاشور أن لولا أفادت التحضيض، وهو طلب الفعل بشدة، وما بعده يكون مطلوبا، وفي هاته الآية كان الطلب شديدا، فيه حث وتحريض على العذاب بعد الجحود بنبوءة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما اعتمد عليه ابن عاشور في تفسيره للآية.

مسألة: عطف جملة اسمية على جملة فعلية

قال تعالى: «هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم» [الحشر،24].

قال ابن عاشور: " جملة «يسبح له» إلخ في موضع الحال من ضمير له «الأسماء الحسنى» هاتان الصفتان لشدة مناسبتهما لنظام الخلق.[1]

في هاته الآية يوجد عطف جملة اسمية على جملة فعلية في موضع الحال حيث تم عطف الجملة الاسمية «وهو العزيز الحكيم» على الجملة الفعلية «يسبح له ما في السماوات والأرض» وفي هاته الآية أيضا رد العجز على الصدر لأن صدر السورة مماثل لآخرها.

مسألة إفادة (قد كان) التعريض واللوم:

قال تعالى: «قد كانت لكم إسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير» [الممتحنة، 4].

يقول ابن عاشور: "وافتتاح الكلام بكلمتي «قد كانت» لتأكيد الخبر، فإنّ (قد) مع فعل الكون يراد بها التعريض بالإنكار على المخاطب ولومه في الإعراض عن العمل بما تضمّنه الخبر كقول عمر لابن عباس يوم طعنه غلام المغيرة: "قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر هؤلاء الأعلاج بالمدينة".[2]

اقرّ ابن عاشور أنه إذا جاء الفعل كان بعد الحرف (قد) فإنهما سيفيدان التعريض بالإنكار على المخاطب ولومه، فقد اعرضوا، فهنا يوجد لوم على الذين كفروا وأعرضوا ولم يتأسّوا بإبراهيم والذين معه.

مسالة: إفادة حرف الواو الاعتراض

قال تعالى: «ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعلمون» [المنافقون،11].

قال ابن عاشور: "اعتراض في آخر الكلام فالواو اعتراضية تذكيرا للمؤمنين بالأجل لكل روح عند حلولها في جسدها".[3]

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج28، ص127.
[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج28، ص142.
[3] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج28، ص255.

فالواو هنا اعتراضية وقفت بين متطالبين وهي مثل هاته الواو في هذه الآية: «ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك» [لقمان، 14].

مسألة: افادة همزة الاستفهام التقرير

قال تعالى: «ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم» [التغابن، 5].

يقول ابن هاشم: "والاستفهام التقريري، والتقريري يؤتى معه بالجملة منفية توسعة على المقرر إن كان يريد الانكار حتى إذا أقر لم يستطع بعد اقراره إنكار، لأنه قد أعذر له من قبل بتلقينه النفي وقد تقدم غير مرة وحذف ما أضيف إليه قبل ونوي معناه، والتقدير: من قبلكم، أي في الكفر بقرينة قوله: «فمنكم كافر» والكافرون يعلمون أنهم المقصود لأنهم مقدمون على الكفر مستمرون عليه".[1]

ويجزم ابن عاشور أن هذا الاستفهام تقريري، فالهمزة في قوله: «ألم» همزة استفهامية تقريرية.

فهمزة الاستفهام(أ) و(لم) أداة جزم، وقد أفاد الاستفهام التقريري أي تقرير المراد به لفت انتباههم كي يعتبروا، ومعناها ألم يأتكم خبر الأمم السابقة إذ حل بهم سوء عاقبة كفرهم وسوء أفعالهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع؟ وتقريره بذلك لكي يعتبروا من الأمم السابقة.

مسألة: تقديم المسند على المسند إليه

قال تعالى: «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير» [الملك، 1].

قال ابن عاشور: "وتقديم المسند وهو «بيده» على المسند إليه لإفادة الاختصاص، أي الملك بيده لا بيد غيره".[2]

واعتبر ابن عاشور تقديم المسند على المسند عليه لغرض اختصاص الله تعالى بالملك وأن الملك بيده وحده لا بيد سواه.

مسألة: إفادة حرف اللام التعليل

قال تعالى: «هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور» [الملك، 2].

يقول ابن عاشور: "واللام في «ليبلوكم» لام التعليل، أي في خلق الموت والحياة حكمة أن يبلوكم...إلخ.

وتعليل فعل بعلة لا يقتضي انحصار علته في العلة المذكورة؛ فإن الفعل الواحد تكون له علل متعددة، فيذكر منها ما يستدعيه المقام، فقوله تعالى: «ليبلوكم أيكم أحسن عملا» تعليل لفعل

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج28، ص268.
[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج29، ص9.

"خلق" باعتبار المعطوف على مفعوله وهو "الحياة"، لأن حياة الانسان حياة خاصة تصحح للموصوف بمن قامت به الادراك الخاص الذي يندفع به إلى العمل باختياره وذلك العمل هو الذي يوصف بالحسن والقبح، وهو ما دل المنطوق والمفهوم في قوله تعالى: «أيكم أحسن عملا» أي "وأيكم أقبح عملا".[1]

يرى ابن عاشور أن اللام في هاته الآية جاءت لتعليل فعل «خلق»، وأقر بأن الفعل الواحد تكون له علل متعددة.

مسألة: إفادة كلما الشرط

قال تعالى: «كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير (8) قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير (9)» [الملك، 8، 9]

يقول ابن عاشور: "و «كلما» مركب من (كلّ) اسم دال على الشمول، ومن (ما) الظرفية المصدرية وهي حرف يؤول مع الفعل الذي بعده بمصدره، والتقدير: في كل وقت إلقاء فوج يسألهم خزنة الفوج.

وباتصال (كل) بحرف (ما) المصدرية الظرفية اكتسب التركيب معنى الشرط وشابه أدوات الشرط في الاحتياج إلى جملتين مرتبة إحداهما على الأخرى، وجيء بفعلي «ألقي» و«سألهم» ماضيين بأن أكثر ما يقع الفعل بعد (كلما) أن يكون بصيغة الماضي، لأنها لما شابهت الشرط استوى الماضي والمضارع معها لظهور أنه للزمن المستقبلي فأوثر فعل الماضي لأنه أخف."[2]

يجزم ابن عاشور أن كلما شابه أدوات الشرط في الاحتياج إلى جملتين مرتبة إحداهما على الأخرى، فكما تحتاج أدوات الشرط إلى جملة الشرط وجملة جواب الشرط، ف (كلما) أيضا تحتاج إلى جملتين لإتمام المعنى وضبطه.

[1] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج29، ص14..
[2] تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج29، ص24.

الخاتمة

الخاتمة:

وأخيرا ومن خلال دراستنا وبحثنا فقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

-يعد أبو الأسود الدؤلي واضع علم النحو الذي يعرف به حالة أواخر الكلمة من حيث الإعراب والبناء.

-ثمرة علم النحو الاقتدار على النطق العربي الفصيح.

-يعد النحو أداة أساسية من أدوات فهم النص، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب، اذ الاعراب يبين المعنى وهو الذي يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين.

-القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، وطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، فمن أراد تفهمه وفهم السنة فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة، وكل معنى مستنبط من القرآن والسنة غير جار على اللسان العربي، فليس من علوم القرآن والسنة في شيء.

-إن اللغة العربية من الدين، والنحو علم من علوم العربية يستعان به على فهم الكتاب والسنة، واعتماد اللغة يفضي إلى التشبه بصدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، ولهذا ان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن.

-إن الجهل بالنحو يفضي إلى الفهم السيء لنصوص الكتاب والسنة، إذ إن عامة ضلال أهل البدع، وأكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد، وحاد عن الطريقة المثلى، فإنما استزله إلى ذلك ضعفه في اللغة العربية.

-تناول ابن عاشور في كتابه هذا العديد من المسائل والوقفات اللغوية النحوية كمعاني حروف الجر، أدوات الاستفهام، مواطن حذف المبتدأ أو الخبر... وغيرها من المسائل، وهذا راجع إلى سعة معارفه لاطلاعه العميق على كتب اللغة والاشعار...وكذا ملكته الحادة والوعي التام لما يستوعبه.

كما تعددت وتنوعت مصادر ابن عاشور اللغوية والنحوية، مما أضاف على تفسيره طابعا خاصا، وقالبا متميزا، ومن بين هاته المصادر: الكتاب لسيبويه، شرح المفصل والمختصر

لابن الحاجب، والقزويني في الايضاح، والبحر المحيط لابي حيان...وغيرها كثير من المصادر لا يسعنا ذكرها هنا.

وكما لكل بداية نهاية وخير العمل ما حسن آخره وبعد هذا الجهد المتواضع نتمنى أن نكون موفقين في عرضنا للعناصر السابقة عرضا لا ملل فيه ولا تقصير.

وفقنا الله وإياكم لما في صالحنا جميعا.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

-الحديث النبوي الشريف.

قائمة المصادر والمراجع:

1) أبو السعود ومنهجه في النحو من خلال تفسيره، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، عماد أحمد سليمان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن،2006م.
2) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمان العك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.
3) أصول في التفسير، محمد صالح العثيمين، تح قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية: المكتبة الإسلامية، القصيم، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ، 2011م.
4) الإيضاح في علم النحو، أبو القاسم الزجاجي، تح مازن المبارك، تح مازن المبارك، دارالنفائس، بيروت، لبنان، ط3.
5) بحوث في أصول التفسير، فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط4، 1419هـ.
6) البرهان في علوم القرآن الزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1391هـ.
7) التأويل والتفسير والفرق بينهما، هجران جاسب عيدان، إلهام عقيل، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستير في اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القادسية، العراق، 1439هـ، 2018م.
8) التبيان في إعراب القرآن، العكبري عبد الله بن الحسين، تح علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ج2.
9) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح عادل أحمد بن عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

10) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984م، ج1.

11) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهيبة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ج1.

12) التيسير في أصول واتجاهات التفسير، عماد علي عبد السميع حسين، دار القيمة، دار الإمام، الإسكندرية، مصر، د ط، 2006م.

13) خرجه الترمذي، محمد بن عيسى 279هـ، السنن، تح كمال الحوت، دار الكتب العلم، لبنان، د ط، د ت، ج5، رقم الحديث:295.

14) علم التفسير، محمد حسين الذهبي، دار المعارف_1119_كورنيش النيل، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

15) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج11.

16) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، مصر، ط1، 1971م، ج2.

17) معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي، تح فائز فارس، ط2، 315هـ،1981م، ج1.

18) معاني القرآن، الفراء يحيى بن زياد، تح أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1980م.

19) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، تح مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط6، 1958م.

20) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1399هـ، 1979م، مادة (ف س ر)، ج4.

21) مقدمة في أصول التفسير ومناهجه، ابن تيمية، تح عدنان زرزور، د ط، د ت. **15-** الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، د ط، د ت، ج2.

22) من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

مناهل العرفان، الزرقاني، د ط، د ت، ج1.

23) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، تح مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، مصر، د ط.

24) النحو والنحاة المصادر والخصائص، خضر موسى محمد محمود، عالم الكتب، لبنان، ط1، 2003م.

25) النحو وكتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيدة، الدار الجماهرية للنشر، طرابلس، ليبيا، ط3، 1991م، ج1.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة: ..... ب

الفصل الأول :علم التفسير 5

المبحث الأول: بين التفسير والتأويل 6

1-مفهوم التفسير: 6

2-مفهوم التأويل: 6

3-الفرق بين التفسير والتأويل: 7

4-حكم علم التفسير والغرض منه: 8

المبحث الثاني: مصادر التفسير 8

1-القرآن الكريم 9

2-النبي صلى الله عليه وسلم: 9

3-الإجتهاد وقوة الاستنباط: 9

4-أهل الكتاب من اليهود والنصارى: 10

-أشهر ما دون من كتب التفسير: 11

المبحث الثالث: علم التفسير ومراحله 12

المرحلة الأولى: التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه 12

المرحلة الثانية: التفسير في عصر التابعين 13

المرحلة الثالثة: التفسير في عصر التدوين 14

طرق التفسير: 15

1-التفسير المأثور: 16

2-التفسير بالرأي: 16

المبحث الرابع: شروط المفسر وآدابه 17

1-الشروط التي لابد من توفرها في المفسر كآداب: 17

2-الشروط التي تتعلق من الناحية العلمية: 19

أشهر المفسرين: 19

الفصل الثاني 21

علم النحو وعلاقته بعلم التفسير 21

المبحث الأول: مفهوم علم النحو: 22

أ-لغة: 22

ب-اصطلاحا: 22

المبحث الثاني: نشأة علم النحو 22

المبحث الثالث: كتب المعاني والاعراب وعلاقتها بتفسير القرآن الكريم: 25

أ-كتب المعاني: 25

ب-كتب الإعراب: 25

المبحث الرابع: أهمية النحو في علم التفسير: 27

الفصل الثالث 28

علم النحو في تفسير التحرير والتنوير 28

مسألة: تقديم المجرور على عامله 29

مسألة تقدير المبتدأ بعد "سواء": 29
مسألة تعدى أفعال اليقين إلى مفعولين: 30
مسألة إفادة أم التسوية: 30
مسألة تكرير النداء وفائدته: 31
مسألة: الاستثناء 31
مسألة: الجملة الشرطية 32
مسألة: وقوع إذ بدل اشتمال 32
مسألة: الباء حرف جر وإفادتها للمصاحبة 33
مسألة: وقوع الجملة مفعولا لأجله 33
مسألة فى اسم الإشارة 34
مسألة جمع ما لا يعقل جمع من يعقل لعلة الاسناد 35
مسألة حذف لام التعليل: 35
مسألة تقدم المسند على المسند إليه فى الجملة الاسمية 35
مسألة: إفادة(كلٌ) غرضين: 36
مسألة: (كلما) جملة ظرفية 36
مسألة: بدل الاشتمال 37
مسألة إفادة قد مع المضارع التكثير: 37
مسألة العطف على محذوف والفاء الفصيحة: 38
مسألة إضافة الشيء إلى نفسه: 39
مسألة: إفادة(قد) مع الفعل الماضى التحقيق 40
مسألة: إفادة لولا التحضيض 41
مسألة: عطف جملة اسمية على جملة فعلية 41
مسألة إفادة (قد كان) التعريض واللوم: 42
مسألة: إفادة حرف الواو الاعتراض 42
مسألة: افادة همزة الاستفهام التقرير 43
مسألة: تقديم المسند على المسند إليه 43
مسألة: إفادة حرف اللام التعليل 43
مسألة: إفادة كلما الشرط 44
الخاتمة: 46
قائمة المصادر والمراجع: 49
فهرس المحتويات 53